نزهة الميت

ليث الصندوق

خرجَ الميْتُ مساءً من غرفِ التجميد
في المستشفىٰ
وتطلّعَ في الأفق
وعلىٰ الأشجارِ انسحبتْ شمسُ غروبٍ
وغنا فوقَ النزفِ ذراعٌ
فانسحبَ الماشونَ وراءَ محطّاتِ الضَخِّ

* * *

وتطلّعَ في الأعينِ
لم يلقَ سوىٰ الثلج
واليقطينِ المتلفّعِ بالورقِ الذبلان
ببخارِ الماءِ المتفجّرِ من ركنٍ خافٍ
كانَ النهرُ المتدفّقُ دمعاً

* * *

وعلىٰ كلِّ ظلالِ الدورِ
توقّفَ مأخوذاً
كان الشُرْطيّ يحدّجهُ بالنظراتِ السوداء
فأمالَ علىٰ الساحلِ طرفاً مذلولاً
وإزاء صخورٍ تحتَ الأمواج
أعادَ الى القلبِ الاحساس ببعض النشوة

* * *

لم يتذكّرْ وهو يموتُ سنيَّ الغربة
تلك اللحظةِ تُحرقُ في السنوات
وهنا شاهدتُ الميْتَ يحدّقُ في عيني

* * *

ويجيء الليلُ كئيباً في زورق
فيمرُّ حوالَ العسكرِ في الخيمة
وعلىٰ سقفِ الدارِ يموع الشمع
وترغو في الضفةِ الأمواج
وحريقُ الأشواك
والواحُ من ورقٍ حذوَ الساحل .
قلتُ لمن أهوىٰ : « فلنجلسْ صوبَ الأفق . . .
وتمرُّ علينا الذكرىٰ بثياب النوم » .
قلتُ : « لنسرحْ بعد طوال جلوسٍ
ويمرّ بنا ظلُّ الجدران
وباقاتُ الأزهار » .
وتطلّعتُ اليها
فلمحتُ جبالاً صامتةً
وسمعتُ هديرَ شظايا مفجورة
تدّافع من (سبطاناتِ) الروح
ونوايا امرأة
لم تبلغْ بعدُ العشرين .
ومع النسمةِ
والأمواج المدفوعةِ كالهمِّ
كانتْ هذي اللحظاتُ تمرُّ على لوحٍ أبيض
كانتْ ذكرىٰ واحدةً
تُحفرُ في قلبين .

* * *

في لحظاتٍ
تملكُ عنفَ الجذعِ المتبقّي
بعدَ حريقٍ
أورادَ حدائقَ من صخرٍ
كنّا نتطلّعُ للظلِّ الفارعِ
يعبرُ في الساحةِ قدّامَ مقاعدِنا
ثم يمرّ بعيداً ،
بهدوءٍ
يسحبني من أنفاسي

* * *

في الليل
وبعدَ سكون الطلقة
خرجَ الميْتُ مليئاً برذاذ الأمواه
وتمعنَّ في أولِ كأسٍ صادفَها صوبَ البرّاد
حيث سياج الجسرِ المرفوع
والفطّة فوقَ مُسنّاةِ النهر
راح يعبّ بكلِّ هدوءٍ
ويدندنُ سكراناً

* * *

انفرطَ العنقودُ ـ
وساحتْ موجاتٌ سوداء
كانَ الليلُ يمدّدُ جثتَهُ في سمِّ خياط ،
ويعيد تقاسيمَ اللّحن إلىٰ الاتٍ تعبىٰ .
ونثيرُ هشيم

يُبعدنا إثرَ لقاء .
ومررنا بالمبنىٰ
فاستوقفنا الدمْ ؛
بعضُ صفارٍ ممزوج بدماملَ مفجورة
خوفٌ يكتسحُ العينين
ويبلىٰ الثمرة
وشظايا رجل يتجمّع في بابِ الغرفة
يضعُ الرأسَ على العنقِ
ويلوي الرسغين
يمنحُ جانبَهُ القوّةَ
عينيهِ الومض
يغرزُ فوقَ الكفِّ أصابعَ مثلَ خيوطِ الثلج
باردةً
ولها قدرةُ ايحاءٍ .
وتمرّغنا بالعشبِ على طرفِ الحائط . . !!
وتتبّعنا الليلَ وراءَ الميْت
حيث يضجُّ بنبضٍ ليسَ من القلب .

* * *

هذي الأرضُ لها الوردُ المغروسُ علىٰ القبرِ
وقطعانُ الأمواج
ولذلك حين تدمدم من أعماقِ البذرة
يخرجُ من باطنها الولدُ العاق

* * *

. . . والميْتُ المتجمّدُ كالفزّاعةِ في الحقلِ
يذرذرُ بين عواميد الجسرِ الأمواج
يمرُّ بكلِّ شرودِ الهائم
دونَ عناءٍ
لا يترك كفّيهِ علىٰ أثرٍ
أو يمحو آخر
لا يفزع من صافرة
أو يعرقُ تحتَ الشمس
لا تتوهّجُ شمعته
أو يفتحُ صندوقاً للمكرِ

كان قويّاً . . . أو يبدو
ولذلك لم أقربْ من نظرتِهِ
لم أتمعّنْ في كفٍّ يبسُ كالورقة
لكنّي سجلتُ الحركاتِ
بشيءٍ من حدسٍ صافٍ
بقوانين خيالاتي
بتصاويري اللامرئية
بالحكمةِ ، أن تدركَ احساسَ الموتىٰ
كنتُ ، احسُّ ، بما يتدفّقُ في عينيه
وبما يتعكّرُ
أو يرغو فيه
لكنّي لم أجرؤ أن أتقدّمَ بينَ يديه
لم أجرؤ أن أدعوه إلى اللعبة
كل الأعمال المطلوبة من حيٍّ في حضرةِ ميْتٍ
قمتُ بها
وحسبتُ بأن الجسدَ المتجمّد
قد يتكسّرُ تحت الريح
قد تلسعه العقرب
أو يصهر تحتَ شعاع الشمس
لكنَّ الجسدَ الثلجيَّ
استعرضَ وهو يمرّ صفوفَ الاحجار
لم يتلفّت لغروبٍ محزون
لم يتلفّظ حرفاً
ما مطَّ شفة
مَرَّ بدونِ أنينٍ . . . وأفقتُ من الغفوة

* * *

في مقبرةٍ
لفَّ سياجُ الأغصانِ بها حوضَ العطر
دَارَ سراجُ الخوخِ المتوهّجِ حولَ الحيطان
وعلىٰ أبواب الخشبِ المنحوتِ
كان الخوفُ يعلّقُ مروحةً في السقفِ

* * *

الميّتُ لا يشربُ خمراً
ليسَ يدخّنُ غليوناً
لا يغسلُ منديلاً
ويشرّشُهُ تحتَ الشمس

* * *

الميّتُ لا يصنعُ حلوىٰ
لا يعملُ مبضعَهُ في جسدٍ
لا يملأ أقلامَ الحبرِ
لينفضها فوقَ ثيابٍ بيضاء
لا يعرف غير الدودِ الناخرِ في عظمِ الرأس

* * *

الميّتُ يجهلُ أسرارَ العشقِ
لا يسلك في الوهم سبيلاً
ويلبّي وعدَ نجومٍ كاذبةٍ
فرسالاتُ الأيام
تبلّغها ريحٌ من نار

* * *

الميّتُ لا يحمل أثقالَ الغير
لكن سَيَمَلُّ
ولذا يأخذ في نزهتِهِ اضمامةَ وردٍ
ولهُ الحسُّ ،
وهو كذلك ـ
يأنسُ أقماراً في الليل
يتبع منها خيطَ شعاعٍ
حتىٰ يصلَ الفجر .

بغداد